

دلائل الإعجاز

(بَلَاوْنَا ضَرَّائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى ... فَمَا إِنَّ رَأَيْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيْبَا) .
(هُوَ الْمَرْءُ أَبَدَتْ لَهُ الْحَادِثَاتُ ... عَزْمًا وَشِيكًا ورَأْيَا مَلِيْبَا) .
(تَنْقَلَّ فِي خُلُقَيْ سُؤْدُودٍ ... سَمَاحًا مُرَجَّيْ وَبِأَسَاءٍ مَهِيْبَا) .
(فَكَالَسَّيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِخًا ... وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَذِيْبًا) .
فإِذَا رَأَيْتَهَا قَدْ رَاقَتْكَ وَكَثُرَتْ عِنْدَكَ وَوَجَدْتَ لَهَا اهْتِزَازًا فِي نَفْسِكَ فَعُدْ فَانْظُرْ فِي السَّبَبِ وَاسْتَقْصِ فِي النَّظَرِ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ ضَرُورَةَ أَنْ لَيْسَ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ مَ وَأَخَّرَ وَعَرَّفَ وَنَكَّرَ وَحَذَفَ وَأَضْمَرَ وَأَعَادَ وَكَّرَّرَ وَتَوَخَّى عَلَى الْجُمْلَةِ وَجَهًا مِنْ الْوَجُوهِ الَّتِي يَقْتَضِيهَا عِلْمُ النَّحْوِ فَأَصَابَ فِي ذَلِكَ كَلَامَهُ ثُمَّ لَطُفَ مَوْضِعُ صَوَابِهِ وَأَتَى مَا تَنَبَّأَ يُوْجِبُ الْفَضِيلَةَ . أَفَلَا تَرَى أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ يَرُوفُكَ مِنْهَا قَوْلُهُ : " هُوَ الْمَرْءُ أَبَدَتْ لَهُ الْحَادِثَاتُ " ثُمَّ قَوْلُهُ : " تَنْقَلَّ فِي خُلُقَيْ سُؤْدُودٍ " بِتَنْكِيرِ السُّؤْدُودِ وَإِضَافَةِ الْخَلْقِينَ إِلَيْهِ . ثُمَّ قَوْلُهُ : " فَكَالَسَّيْفِ " وَعَطَفَهُ بِالْفَاءِ مَعَ حَذْفِهِ الْمَبْتَدَأَ لِأَنَّ الْمَعْنَى : لَا مَحَالَةَ فَهُوَ كَالسَّيْفِ . ثُمَّ تَكَرَّرَ الْكَافُ فِي قَوْلِهِ : " وَكَالْبَحْرِ " ثُمَّ أَنَّ قَرَنَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ التَّشْبِيهِينَ شَرْطًا جَوَابُهُ فِيهِ . ثُمَّ أَنَّ أَخْرَجَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الشَّارְطَيْنِ حَالًا عَلَى مِثَالِ مَا أَخْرَجَ مِنَ الْآخِرِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ " صَارِخًا " هُنَاكَ " وَمُسْتَذِيْبًا " هَاهُنَا . لَا تَرَى حُسْنًا تَنْسِبُهُ إِلَى الذَّطْمِ لَيْسَ سَبَبُهُ مَا عَدَدَتْ أَوْ مَا هُوَ فِي حَكْمِ مَا عَدَدَتْ فَأَعْرَفَ ذَلِكَ .
وَإِنْ أَرَدْتَ أَظْهَرَ أَمْرًا فِي هَذَا الْمَعْنَى فَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ :
(فَلَوْ إِذْ نَبَا دَهْرٌ وَأُنْكَرَ صَاحِبٌ ... وَسُلَّطَ أَعْدَاءُ وَغَابَ نَصِيرٌ) .
(تَكُونُ عَنِ الْأَهْوَازِ دَارِي بِنَجْوَةٍ ... وَلَكِنْ مَقَادِيرُ جَرَتْ وَأُمُورٌ) .
(وَإِنِّي لَأَرْجُو بَعْدَ هَذَا مَحْمَدًا ... لِأَفْضَلِ مَا يُرْجَى أَخٌ وَوَزِيرٌ) .
فإِنَّكَ تَرَى مَا تَرَى مِنَ الرَّوْنِقِ وَالطَّلَاوَةِ وَمِنَ الْحُسْنِ وَالْحَلَاوَةِ ثُمَّ تَتَفَقَّدُ السَّبَبَ

في